الدرس الأول مدخل إلى دراسة الدلالة

1 – تعريف الدلالة لغة واصطلاحا:

أ – الدلالة لغة:

الدلالة بكسر الدال أو بفتحها، مصدر دلّ، وقد جاء في مقاييس اللغة:«الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ.» ، وقال الفيروز آبادي:«ودَلَّهُ عليه دَلالَةً، ويُثَلَّثُ، ودُلولةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه». ويقول الأصفهاني: «الدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: ﴿ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ/ 14]. أصل الدّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدّالّ: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمّى الدّالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره».

من خلال الأقوال السابقة يمكن القول إن المعنى العام لهذا اللفظ هو الإبانة والتسديد، وهو يجمع ما بين الدلالة اللفظية وغير اللفظية كما يوضحه قول الأصفهاني، فالدلالة مصدر يدل بلفظه على كل أطراف الفعل الدلالي.

ب – الدلالة اصطلاحا:

إذا انطلقنا من التراث العربي في تحديد مفهوم هذا المصطلح وجدنا تراثنا غني بالمسائل الدلالية وإن كانت غير محددة المجال، فقد وجدت الدلالة في رحاب الدرس الفقهي والفلسفي واللغوي. والتعريف الذي نراه جامعا هو ما جاء في كتاب التعريفات للجرجاني: «الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول.» ، إن هذا التعريف يتجاوز تعريف المحدثين للدلالة، فهو بالإضافة إلى تحديد ركني الفعل الدليل، يشير أيضا إلى علم آخر أشمل من علم الدلالة وهو علم السمياء . (Semiologie) فتعبير الجرجاني عن الدال والمدلول بلفظ الشيء دون اللفظ، يجعل التعريف جامعا لما هو لغوي وغير لغوي من أصناف العلامة، ومن ثم أصناف الدلالة.

أمّا مفهوم الدلالة عند المحدثين، فإنّها تعني عند بريال –واضع مصطلح علم الدلالة– تلك القوانين التي تشرف على تغيير المعاني، ويعاين الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالتها.
لقد أصبح علم الدلالة يهتم بالصورة المفهومية للمدلول خاصة بعد الدراسة التي قدمها الإنجليزيان أوجدن وريتشاردز في كتابهما "معنى المعنى" الذي تمّ إصداره عام 1923م، وفيه تساءل العالمان عن ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول. يقول مازن الوعر: «إذا كانت الصوتيات واللغويات تدرسان البنى التعبيرية وإمكانية حدوثها في اللغة فإنّ الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبّر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية».

من خلال ما سبق يمكن القول: إنّ علم الدلالة فرع من فروع علم اللغة يهتم بدراسة جوهر الكلمة بهدف تحديد مقصدية الخطاب، فهي لا تنظر إلى صفات الوحدات اللغوية من حيث طبيعتها التكوينية والأدائية، وإنما محورها الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها هذه الوحدات في تناسبها مع المقام.

ج – تعريف علم الدلالة:

عرّفه أحمد مختار عمر بأنه "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى". وقد اختير المصطلح العربي الدلالة مقابلا لهذا العلم السيمانتيك، نظرا لانتشاره في المصنفات العربية القديمة . إلى جانب ما يُعين عليه مصطلح الدلالة من اشتقاقات في المادة (دل، الدال، المدلول، المدلولات...) ومثل هذه الاشتقاقات لا يتيحها مصطلح المعنى لأنّ فيه عموما، كما أنه ألصق بعلم البلاغة.

2 – موضوع علم الدلالة:

موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى وملابساته وما يمكن أن يرتبط بالرموز اللغوية لتأدية المعاني الكافية للتواصل الناجح وهذه الرموز ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان.
وقد اهتم الإنسان بالرموز والعلامات منذ القديم حيث اجتهد في تفسيرها فالإنسان كائن اجتماعي ولا تتحقق النزعة الاجتماعية إلا بوجود نظام اصطلاحي من العلامات الدالة وقد نما علم الدلالة الحديث وتشعب وبات أوسع مجالا من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح.

3 – أهمية علم الدلالة:

إن أي دراسة للغة لابد أن تسعى إلى الوقوف على المعنى الذي يقصده المتكلم من إنتاج السلسلة الكلامية بدءا بالأصوات وانتهاء بالمعجم مرورا بالبناء الصرفي وقواعد التركيب وما يضاف إلى ذلك كله من معطيات المقام الاجتماعية والثقافية.

إن النشاط الكلامي ذا الدلالة الكاملة لا يتكون من مفردات فحسب، وإنما من أحداث كلامية أو امتدادات نطقية تكون جملا تتعدد معانيها بسكتات أو وقفات أو نحو ذلك.

إن استنباط المعنى من أكبر الصعوبات التي تواجه الباحث، لأنه أمام معان متعددة وتدخلها شروط كثيرة قبل استخدامها.

ويعتمد استنباط المعنى على النقاط الآتية:

1 . تحديد دلالة الألفاظ المفردة خارج السياق.

2 . تحديد دلالة الألفاظ خارج السياق.

3 . دراسة معنى الجمل.

4 . ضبط مقام التركيب في سياق الخطاب.

5 . عدم إغفال المعنى الاجتماعي للمفردة أو الجملة أو التعبير.

6 . عدم إهمال المعنى الحضاري أو الديني وما إلى ذلك.

ولا يقتصر علم الدلالة على علم اللغة وحده بل هو متعلق بعدد كبير من العلوم كالفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية وعلم التربية والرلاة والنقد الأدبي ... إلخ.

وتظهر أهمية علم الدلالة عند رجال الأعمال ومصممي الإعلانات والدعاية والإشهار ورجال السياسةفي خطبهم وتصريحاتهم والمؤرخين والأطباء وغيرهم.

الدرس الثاني علاقة علم الدلالة بالعلوم اللغوية

علاقة علم الدلالة بالأصوات (المستوى الصوتي).

إن الأصوات (حروف البناء) وحدات غير دالة، وهي القطع الصوتية الصغرى التي تتشكل منها بجمع بعضها إلى بعض الوحدات الدالة (الكلمات). هذه الأصوات في الواقع تدرس من جانبين، الجانب الأول : هو من حيث طبيعتها الفيزيائية – الفيزيولوجية، والجانب الثاني: من حيث وظيفتها (الدلالية) في بنية الكلمة أو الوحدة الدالة ولذلك صار للأصوات علمان أحدهما: علم التصويت والثاني : علم وظائف الأصوات، حيث تدرس وظائف هذه الأصوات من خلال التقابلات الثنائية التي تظهر القيمة الدلالية أو المعنوية للصوت بالاشتراك مع أصوات أخرى. فالفرق الدلالي بين قال ومال جاء من التقابل بين (ق) و(م). وتبدو علاقة الدلالة بالأصوات جلية هنا. وهناك كلمات يتغير أحد أصواتها ولا تتغير دلالتها مثل: الصراط مقابل السراط. والسقر، والزقر، والصقر، وهذا ما يسمى كيفيات أو وجهات أداء. ولابد من الإشارة أيضا إلى أن هناك من يرى أن الصوت (الحرف) الواحد منفردا له قيمة تعبيرية (دلالية) خاصة به. وقد ذهب عدد من الباحثين إلى هذا الرأي ومن هؤلاء ابن جني ت 392هـ. الذي أورد في كتابه الخصائص عددا من العناوين والأمثلة التي تؤكد قناعته بهذا الرأي، من ذلك باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني. وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني. فالصوت (الحرف) مفردا أو مركبا يحمل قيمة دلالية في ذاته ،وليس ذلك بغريب على ابن جني الذي لم يخف ميله إلى النظرية التي ترى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعة، فهذا المذهب عنده وجه صالح ومتقبل. وهناك أمثلة كثيرة غايتها تأكيد القيمة التعبيرية (الدلالية) للحرف الواحد، مركبا في الكلمة من ذلك: نضح ونضخ، قال تعالى: "فيهما عينان نضاختان"، وبما أن النضخ أقوى من النضح فقد جعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه، وكذلك : قضم وخضم ، فالقضم للصلب اليابس والخضم للرطب. وكان أحمد بن فارس (توفي 395هـ) قد وضع معجما سماه: (مقاييس اللغة) وجه فيه كل جهده لاستنباط الصلات بين الألفاظ ودلالاتها، و لكنه غالى وتكلف، كما فعل ابن جني.

ولم يكن علماء العرب وحدهم الذين يعتقدون بهذه القيمة التعبيرية للأصوات (الحروف)، فمن المحدثين الغربيين (جسبرسن) الذي يلخص آراء المحدثين في الصلة بين الألفاظ والدلالات فتعرض لمقال (همبلت) الذي يزعم أن اللغات بشكل عام تؤثر التعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الأذن يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان، وهذا ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها، وإن كان يرى أن هذه الصلة كانت في البداية، ولكنها تطورت حتى أصبحت العلامة غامضة. وكان جسبرسن يضرب بعض الأمثلة عن المناسبة الطبيعية، من ذلك أن طائرا في أوربا يسمى(كوكو) فهو يصيح فيصدر صوتا هو – كوكو – ويمكن أن نمثل لهذا كذلك بكلمة الصفق وهو الصفع على الوجه، وهو ما يشبه الصوت الصادر عن ذلك.

ومن مظاهر الدلالة الصوتية (النبر) فالنبر والاعتماد بقوة أو الضغط على مقطع ما أو كلمة ما يجعل لها معنى خاصا. وفي لغات أخرى يحدد موضع النبر نوع الكلمة، اسما أو فعلا. ومن مظاهر الدلالة الصوتية كذلك، النغمة الكلامية ففي اللغة الصينية قد يكون للكلمة الواحدة عدة معان يفرق بينهما النغمة. ومثال ذلك في العربية قولنا : (هكذا) فقد تكون بمعنى الاستفهام إذا كان المتكلم يريد الاستفسار عن كيفية عمل شيء، وقد تكون للشجب والاستنكار، وقد تكون للإقرار والإخبار.

يقول ابن جني في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني : " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته .قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا صر ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان أنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو الغليان والغثيان فقابلوا توالي حركات المثال بتوالي حركات الأفعال ". الخصائص ج2 ص152. ويقول أيضا : " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، فباب عظيم وواسع ونهج متلئب عند عارفيه ، ذلك لأنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها ، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها بذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره من ذلك كقولهم خضم وقضم ، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان

نحوهما من المأكول الرطب ، والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك". الخصائص ج2 ص 157

أما في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني فيقول :" من ذلك قول الله سبحانه :" ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا " أي تزعجهم وتقلقهم . فهذا في معنى تهزهم هزا ، والهمزة أخت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين . وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز ما لا بال له ، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك ". الخصائص ج2 ص146 .147

نلاحظ في النص الأول أن ابن جني قد التفت إلى وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدل عليه " صر " . وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب مع وجود اختلاف في الكيفية ، جاء الفعل الذي يصف صوت البازي مضعفا " صرصر " .

فنجد ابن جني يركز على تقارب المعاني نتيجة لتقارب جرس الأصوات ، ويفرق بين المعاني نتيجة لاختلاف الجرس .ويضيف ابن جني ما قاله سيبويه في هذا الباب أن المصادر التي جاءت على الفعلان ، أنها تأتي للاضطراب كحركات الأفعال .فالمصادر التي على وزن " فعلان " . بفتح الفاء والعين . تدل على الحركة المصاحبة للحدث. ثم يوضح في النص الثاني أثر الأصوات في المعاني ، فالصوت الرخو **يدل** على المعنى الرخو وبالمقابل **يدل** الصوت الغليظ على المعنى الغليظ ويعطينا مثالا لذلك كلمتي :**الخضم** التي تدل على أكل الرطب و**القضم** لأكل الصلب اليابس. أما في النص الثالث فيوضح لنا أن تقارب الحروف أو الأصوات ناتج عن تقارب المعاني ويقدم مثالا لذلك كلمتي **الهز** و**الأز** المتقاربتين في المعنى ومعناهما : تزعجهم وتقلقهم . أما إذا نظرنا إلى الكلمتين من الناحية اللفظية فنجد أنهما لا تختلفان إلا في حرف الهاء والهمزة وهما حرفان متقاربان أيضا من الناحية الصوتية فالهاء مخرجه الحلق وهو المخرج ذاته للهمزة.

فتتصور من مجموع هذه النصوص أن ابن جني يريد القول بوجود العلاقة الطبيعية بين الحرف ومعناه أو ما يسمى بالقيمة التعبيرية للحرف الواحد ، إذ تتقارب المعاني أحيانا نتيجة تقارب مخارج الحروف، وترتبط قوة المعاني بقوة الحروف .

الدرس الثالث علاقة علم الدلالة بالعلوم اللغوية

علاقة الدلالة بعلم الصرف وعلم التراكيب(الدلالة الصرفية والنحوية).

1 – علاقة علم الدلالة بعلم الصرف (الدلالة الصرفية)

بالرجوع إلى المستوى الصرفي من مستويات البنية اللغوية نذكر أن عناصر هذا المستوى هي (المفردات أو الكلمات أو الوحدات الدالة) التي تنشأ من جمع الأصوات (الوحدات غير الدالة) ليكون لدينا وحدات لها دلالة مفردة (بالوضع) كما ذكر الزمخشري في كتابه (المفصل). هذه الوحدات ذات الدلالة المفردة تأخذ أشكالا صرفية مختلفة وهي التي تسمى الصيغ الصرفية ، ولكل صيغة دلالة معينة بالإضافة إلى دلالة المادة الصوتية التي تتشكل منها. فللأسماء والأفعال والأوصاف (المشتقات المختلفة) دلالة إضافية تحددها الصيغة. فلكل فعل من الأفعال (الماضي والمضارع والأمر) وبصورها المختلفة (المجردة والمزيدة) هيئة صرفية تدل على المعنى أو على جزء من المعنى . مثل: فعل، يفعل، افعل، استفعل، تفاعل وكذلك فاعل، مفعول، مفعل، مفعل، فعال، مفعال. وقد تدل صيغة واحدة على عدة معان يحددها السياق، مثل صيغة اسم الفاعل والمفعول. (مختار) ، بضم الميم ، المتحولة من البنيتين العميقتين: مختير ومختير، بفتح الياء في الأولى وكسرها في الثانية ،ومن ذلك الصيغة التي تدل على اسم الزمان والمكان واسم المفعول والمصدر الميمي (مسعى) على وزن مفعل ، ومن ذلك أيضا : الفعل ضاع يضوع ،التي تدل على الظهور والاختفاء وندرك ذلك بالرجوع إلى المضارع: ضاع يضيع وضاع يضوع ، وكذلك رام يروم ويريم.

إن علم الصرف الذي يدرس هذه الصيغ (هذه الوحدات) التي تعد من المفردات على الرغم من أنها قد تتألف من أكثر من وحدة دالة حسب مبدأ تحديد الوحدات الدالة بناء على المعنى، إن علم الصرف هنا يتقاطع مع علم الدلالة لأن الأصل في تصريف الصيغة الأولى إلى صيغ مختلفة الحاجة إلى الدلالات المختلفة التي نحتاج إليها ضمن النظام اللغوي لتؤدي اللغة وظيفتها بشكل كامل ودقيق.

2 – علاقة علم الدلالة بعلم التراكيب (الدلالة النحوية).

يقول الجرجاني عبد القاهر في كتابه المشهور (دلائل الإعجاز في علم المعاني) : (إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم

بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد .....) (دلائل الإعجاز ص353). إن ما يقال من أن الوحدات الدالة في المستوى الصرفي تتشكل من تجمع لعناصر من الوحدات غير الدالة (الأصوات). فان ذلك لا ينطبق على تشكيل الجمل من الوحدات الدالة وإنما يتم ذلك بالتآلف بين هذه الوحدات فيأتلف بعضها ولا يأتلف بعضها الآخر، كما يذكر الجرجاني نفسه في كتابه الجمل (اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا (.....) يسمى كلاما ويسمى جملة (الجمل ص107) .

وعلى هذا تكون الإفادة ليس معنى المفردات في حد ذاتها . وهو ما يوضحه في قوله السابق في الدلائل. وإنما الإفادة هنا في هذا المستوى (مستوى التراكيب) أو المستوى النحوي هو تعريف المخاطب (بفتح الطاء) وإبلاغه بالعلاقات النحوية أو ما يسمى بمعاني النحو، وهو المعنى الإسنادي الذي يربط بين الوحدات داخل التركيب فيفهم من الذي قام بالفعل أو اتصف بالوصف وعلى من وقع هذا الفعل، ومع ترابط عناصر التركيب بما في ذلك الملحقات مثل الحال والتمييز وغيرها، حيث يوضع كل عنصر في موضعه المناسب لصحة المعنى، وإلا لن يفهم المخاطب ، بفتح الطاء ، (السامع) أي معنى مع أنه من المفترض أنه يعرف المعاني المفردة للألفاظ وإنما المعنى المقصود هنا هو معنى النحو، أو الوظائف النحوية. ويرى الجرجاني أن ذلك النظام يقوم على ربط الكلمات ببعضها يقول " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها ، على الوجه الذي اقتضاه العقل. وقد عدّ بعضهم الجملة (التركيب) هي الوحدة الدلالية الأساسية.

وهذا لا يعني –طبعا– أن المعاني المعجمية (الاجتماعية) بمعزل عن فهم المعنى لأن اللغة تعمل بنظام متفاعل تتداخل فيه المستويات، ويظهر ذلك عند تشو مسكي فيما يسمى مبدأ السلامة النحوية، ويضرب لذلك الأمثلة ، فقد يكون التركيب سليما نحويا من حيث الإسناد، و لكنه لا يؤدي للمخاطب (بفتح الطاء) معنى صحيحا مثال ذلك : (شرب الجدار النجمة المؤمنة) . وإنما قد يكون ذلك فيما يسمى باختراقات الشعراء مثل. (شربتني قهوتي) . وإذا كنا قد ركزنا هنا على الجرجاني فلأنه ركز على العلاقة بين النحو والبلاغة أو الإبلاغ وليس الإبلاغ إلا نقل المعاني وتبادلها بين المخاطب (بفتح الطاء) والمخاطب (بكسر الطاء) .ومن هنا كان لعلم الدلالة علاقة متينة بعلم النحو فليست اللغة إلا مجموعة

من العلاقات بين الألفاظ ودلالاتها ، وهذا ما تؤكده كثير من المذاهب اللسانية الغربية الحديثة.

الدرس الرابع علاقة علم الدلالة بالعلوم اللغوية

علاقة علم الدلالة بعلم البلاغة وعلم المعاجم

1 – علاقة علم الدلالة بعلم البلاغة

قد لا يذكر الباحثون في الغالب . أن هناك مستوى في البنية اللغوية يسمى المستوى البلاغي ،لأنه متداخل مع المستوى الابلاغي الذي يعتمد التراكيب أو الإسناد أساسا ، وإنما هناك أنواع من التصرف في الكلام قد تجعله بليغا ، ويتفاوت في ذلك المتكلمون ، ومما يشير إلى أن الدلالة البلاغية في سياقاتها تختلف عن الدلالات الأخرى مع ارتباطها بها أننا لو أخذنا المثال المشهور من التراث اللغوي العربي (كثير الرماد). فالدلالة النحوية هنا لو وقفنا عندها كانت أن شخصا ما عنده الكثير من الرماد (بقايا النار) وقد يكون ذلك للاتجار به أو أن يكون للقذارة وعدم التخلص منه، ولكن في السياق البلاغي تكون دلالة (كثير الرماد) الكرم ..... وهذا الذي سمي عند الجرجاني بمعنى المعنى. وكنا قد ذكرنا أن (أوجدنو ريتشارد) قد ألفا كتابا في عام 1923 بعنوان "معنى المعنى" the meaning of meaning وكان عبد القاهر الجرجاني قد سبق إلى ذلك و إن كان بمجرد إشارة.

هذا بالإضافة إلى علاقة الدلالة بالنص (الدلالة النصية)، إذ أن هناك من يرى أن الوحدة الدلالية هي (atext) النص. وأن أي امتداد للكلام ابتداء من المورفيم . وربما دون ذلك . هو وحدة دلالية (انظر: أحمد مختار عمر. علم الدلالة ،عالم الكتب ص 32) علما بأن أبرز وحدة دلالية هي الكلمة لأنها المستوى الأساسي في البنية اللغوية (مستوى الوحدات الدالة) كما كنا قد أشرنا سابقا عند حديثنا عن مستويات البنية اللغوية.

2 – علاقة علم الدلالة بعلم المعاجم: (الدلالة الاجتماعية)

كل كلمة من كلمات اللغة العربية لها دلالة معجمية مستقلة عما توحيه أصواتها أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأصلية أو المركزية أو القاعدية ، ويطلق عليها الدلالة الاجتماعية. ولكن عندما تنتظم الكلمة ضمن الجملة تضاف إلى الكلمة كل الدلالات الأخرى ولا يتم الفهم إلا بالوقوف عليها جميعها.

وأصل المعنى المعجمي هو ما تدل عليه الكلمة من المعنى الوضعي ، وهذا ما أشار إليه الزمخشري عندما قال في كتابه المفصل: " الكلمة هي اللفظ الدال على معنى مفرد بالوضع ".

هذا المعنى المرتبط –مبدئيا– بالأصول الصوتية (العربية ثلاثية الأصوات) هو الذي تنطلق منه المعاني الأخرى ، وقد ارتبطت المعاجم العربية القديمة والحديثة (غالبا) بمبدأ الأصول الثلاثية ، حتى رأى بعضهم (ابن جني) وربما من قبله (الخليل بن أحمد) : أن المعنى الأصلي يظل مرتبطا بهذه الأصول ولا يكاد يفارقها حتى وإن تغير ترتيبها في الكلمة الواحدة (الاشتقاق الكبير) . أو حتى لو أبدلنا بها ما يقاربها من الأصوات (الاشتقاق الأكبر) وإن كان الذين اعتمدوا هذا الرأي قد تأولوا كثيرا. هذا بالإضافة إلى أن هناك من عدّ المادة الصوتية الأولى في الكلمات اللغة كانت صوتين فقط أو ما يعرف بالمقطع الصوتي القصير المغلق (قط، شد، شك) هذا تاريخيا ثم انتقلت هذه الثنائية إلى المعجم بتضعيف الصوت الثاني (قطّ، شدّ، عضّ) الثلاثي المضاعف ونظرا للحاجة إلى تنويع المعنى أضيف فيما بعد صوت ثالث تتويجا أو حشوا أو كسعا من ذلك قط + ع = قطع – و + ر = قطر، و+ م = قطم. وفج بإدخال صوت في وسطها تصبح فلج أو فرج . ولعل ما يشير إلى علاقة الدلالة بالمعجم أن هناك معاجم بنيت على أساس المعاني، وسميت معاجم المعاني ، وقد كان هذا في التراث اللغوي العربي عندما وضع جامعو اللغة الأول ما يسمى بالرسائل اللغوية المتعلقة بأحد الموضوعات أو المعاني مثل: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، والأنواء وغير ذلك. وكما أن هناك الآن معاجم نبحث فيها اعتمادا على اللفظ، فان هناك معاجم أخرى يبحث فيها اعتمادا على المعنى.

الدرس الخامس علاقة علم الدلالة بالعلوم غير اللغوية

في الواقع لا يمكن فصل علم الدلالة عن أيّ من العلوم الأخرى ، سواء الإنسانية أو الرياضية والطبيعية، فالعلوم كلها تعتمد الدلالة في جميع مساراتها. بل كل شيء في الحياة وفي علاقة الإنسان بما يحيط به من الكون وما ينشأ عنه من فعاليات يعتمد الدلالة أساسا.

1– الدلالة والتعبيرات الاصطلاحية:

إذا كان المعنى النحوي الذي ينشأ من التركيب أو الإسناد هو معنى (دلالة) مختلفة عن دلالة عناصر الإسناد المفردة المعجمية (ارجع إلى ما ذكره الجرجاني)، فإن هناك تعابير مركبة (اصطلاحات خاصة) دلالتها غير الدلالة الاسنادية المباشرة التي قد تفهم من التركيب، فهي مستوى ثالث من الدلالة يتكون من عدد من الكلمات أو المورفيمات الحرة كقولنا (البيت الأبيض) الذي يشير إلى مؤسسة إدارية سياسية وليس إلى بناء أو قصر من حيث الدلالة. ومثل ذلك تعبير (الصحافة الصفراء)، (الباب العالي)، وعندما نقول عندنا (قصر المرادية) ونقصد مؤسسة رئاسة الجمهورية.

ويجب أن نميز بين هذا النوع من التعابير المركبة وبين ما شبهها كقولنا (الدار البيضاء) علما على مدينة إذ أن هذه التسمية لم تزل تشير إلى الأصل فربما كانت هناك دار بيضاء اللون.

2– الدلالة والفلسفة.

من المعروف أن ارتباط الدلالة بالفلسفة والمنطق كان أظهر من ارتباطه بأي علم آخر. بل كان الباحثون لا يفرقون – ربما – بين علم الدلالة والفلسفة ، غير أن علم الدلالة بدأ ينفصل تدريجيا ويدخل بل يتمركز في دائرة العلوم اللغوية بل مازال علماء الفلسفة يدرسون علاقة موضوعاتهم الفلسفية بعلم اللغة، وقد كان فلاسفة اليونان قد اهتموا بهذه العلاقة.

ولعل ما يرد في الدراسات اللغوية من الحدود والتقسيمات ، ومن مصطلحات مثل : الخبر و الإنشاء واسم الجنس واسم النوع ، لا ينفك عن علم المنطق، بل أن هناك من المناطقة من اختص بعلم الدلالة وربما كانت الأمثلة اللغوية المستقلة في المنطق تبين بوضوح مثلا هذه العلاقة مثل:

– كل إنسان فان ..... محمد إنسان ..... محمد فان

– كل نار لها دخان ..... ليس كل دخان يدل على النار.

3– الدلالة وعلم النفس.

يبحث علم النفس في طريقة اكتساب اللغة، وكيفية التعلم ، ولعل اهتمام علماء النفس بموضوع الإدراك من أبرز ما يربط بين علم النفس وعلم اللغة و(منه الدلالة) إذ أن الإدراك ظاهرة فردية والناس يختلفون في إدراك الكلمات وفي تحديد دلالاتها. ويلاحظ أن للغة جوانب نفسية تتغير بتغير الأحوال من فرح وحزن وغير ذلك. ويظهر هذا من خلال كلام المتكلمين.

4– الدلالة وعلم الاجتماع.

اللغة ظاهرة اجتماعية وحدها كما ذكر ابن جني: " أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "، فهي تعبير عن الأغراض والعادات والتقاليد الاجتماعية ، وعلم الدلالة يهتم بحياة الناس وعاداتهم ، وكل ما يتعلق بفعالياتهم الحياتية. بل وتعكس بعض ألفاظ اللغة وتراكيبها نمط التفكير الاجتماعي، من ذلك ما يذكر من أن العرب يقولون رجل للآدمي الذكر البالغ ، ولكنهم لايقولون رجلة للآدمية الأنثى البالغة .

الدرس السادس نشأة علم الدلالة وتطوره (عند القدماء)

عند اليونان: من الطبيعي أن تكون الدلالة من الموضوعات التي يهتم بها الفكر الإنساني منذ القدم. وكان ذلك عند فلاسفة اليونان، فقد رأى أرسطو أن المعنى يتطابق مع التصور الموجود في العقل وميز بين:

1- الأشياء في العالم الخارجي

2- التصورات أو المعاني

3- الأصوات أو الرموز أو الكلمات.

وفتح ذلك الباب لكثير من الأفكار والمناقشات حول الدلالة والمعنى ، كما تعرض أفلاطون إلى قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى واتجه إلى أن العلاقة بينهما طبيعية ذاتية. بينما اتجه أرسطو إلى أن هذه العلاقة اصطلاحية عرفية ، أي متواضعة عليها وقام بشرح هذه العلاقة العرفية وبيانها.

عند الهنود: اهتم الهنود بالتأمل في لغتهم وقاموا بدراستها بدافع ديني للحفاظ على كتابهم المقدس (الفيدا) . وهذا ما يشبه ما كان من أمر العرب عندما درسوا لغتهم. وكان (بانيني) الذي عاش في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد وضع كتابا في السنسكريتية سماه (المثمن) قيل أنه أشبه بكتاب سيبويه. وكان من أهم الموضوعات التي ناقشها الهنود، نشأة اللغة واكتساب بعض الأصوات لمعانيها وقد كانوا فريقين : أحدهما يرى أن اللغة نشأت بالإلهام ، والثاني: من اختراع البشر. كما ناقشوا قضية اللفظ والمعنى فمنهم من رأى أن اللفظ والمعنى لا ينفصلان عن بعضهما ، ومنهم من رأى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة فطرية وطبيعية ، ومنهم من رأى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة ضرورية لزومية. ومن القضايا التي ناقشوها: أنواع الدلالات للكلمة. وتوصلوا إلى أن هناك أربعة أقسام للدلالات : حسب عدد الأصناف الموجودة في الكون وهي:

1- قسم يدل على مدلول عام (رجل)

2- قسم يدل على كيفية (طويل)

3- قسم يدل على حدث (جاء)

4- قسم يدل على ذات (محمد).

عند العرب: قام العرب بدراسة لغتهم لسبب أساسي ديني ، يتمثل في المحافظة على لغة القرآن الكريم لصحة تلاوته واستخلاص الأحكام والتشريعات منه . وكان للخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة الآيات بشكل غير صحيح أكبر الأثر في النهوض بهذه الدراسة ، لذلك كانت أوائل الأعمال اللغوية المتعلقة بالدلالة بشكل خاص ذات صلة بالقرآن الكريم مثل: معاني الغريب في القرآن الكريم، ومجاز القرآن ، بالإضافة إلى معاجم الموضوعات (المعاني) . وقد تجلت أهم أعمال الدراسيين العرب الدلالية بما يلي:

– عمل الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) للتفريق بين المعاني الحقيقية والمجازية.

– أعمال ابن جني في ربط تقلبات المادة (اللفظة) بمعنى واحد.

هذا بالإضافة إلى أعمال لغوية أخرى ذات صلة بعلم الدلالة.

ولابد من الإشارة هنا إلى ما قام به الأصوليون وعلماء الكلام ، وما ذكروه من: دلالة اللفظ ودلالة المنطوق ودلالة المفهوم. بالإضافة إلى أعمال البلاغيين في دراسة الحقيقة والمجاز، ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

الدرس السابع نشأة علم الدلالة وتطوره (عند المحدثين)

لم تكن الدراسات الدلالية القديمة دراسة علمية حقيقية ، وإنما كانت مثل هذه الدراسة العلمية بمفهوم العلم ومناهج البحث من ثمرة الدراسات اللغوية الحديثة. وبهذا المفهوم الخاص يمكن القول أن بواكير هذا العمل نشأت في أواسط القرن التاسع عشر عند الغربيين وكان على رأس من أسهم في وضع أسس هذه الدراسات ماكس مولر(max muller) وميشال بريال اللغوي الفرنسي الذي وضع بحثا بعنوان مقالة في السيمانتيك (essai de sémantique) عام 1879، وقد اهتمت هذه المقالة بدلالة الألفاظ القديمة في اللغات الهندوأوربية. وربما كان من أبرز الأعمال في هذا السياق المؤلف الضخم بعنوان (لغتنا) للعالم السويدي أدولف نورين (adolf noreen) الذي خصص قسما كبيرا لدراسة المعنى مستخدما مصطلح (somology).

حيث قسم دراسة المعنى إلى قسمين :

1- الدراسة الوظيفية.

2- الدراسة الايتمولوجية التي تعالج تطور المعنى التاريخي.

وقد تطورت الدراسة الدلالية حديثا ، عند الأوربيين وظهرت أسماء مهمة مثل : أوجدن وريتشارد اللذان أخرجا مؤلفهما الشهير الذي عنوانه (the meaninig of meaning) أي معنى المعنى عام 1923 حيث وضعا نظرية للعلامات و الرموز.

ومن المؤلفين العرب الذين اهتموا بعلم الدلالة في العصر الحديث الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه دلالة الألفاظ) حيث عالج في هذا الكتاب عدة قضايا منها ارتباط الألفاظ بمدلولاتها – أقسام الدلالة – العلاقة بين اللفظ و المعنى – اكتساب الدلالة عند الطفل و الكبار – التطور الدلالي.

هذا ولم تزل الدراسات الدلالية في العصر الحديث تتسع وتستقل في مؤلفات خاصة بالإضافة إلى ما تأخذه من مساحات ضمن إطار الدراسات اللغوية وعلم اللغة الذي استوى وتطور في الفترة الأخيرة وكان هناك عدد من الباحثين العرب الذين اهتموا بالدلالة مثل الدكتور أحمد مختار عمر. وفي الدراسات اللغوية الغربية واعتبارا من تشومسكي الذي دعا في البداية إلى ضرورة فصل النحو عن المعنى إلا أن عدل عن موقعه بتأثير عدد من اللسانيين الذين

أدخلوا المكون الدلالي في التحليل ونذكر على سبيل المثال (ستيفن أولمن) الذي أصدر عددا من الكتب حول دراسة المعنى، منها: أسس علم المعنى ، ودور الكلمة في اللغة. وفي الدراسات اللغوية الغربية الحديثة ردّ عدد من اللغويين مثل كاتز وفودور الاعتبار إلى المعنى وأدرج المكون الدلالي في التحليل بعد أن كان قد استبعد هذا المكون الذي يقوم بإعطاء تفسيرات دلالية للبنية العميقة. وهكذا فإن تشو مسكي الذي عرف بنظرية النحو التوليدي التحويلي ، والذي طوّر نظريته التي ظهرت في كتابه (البنى التركيبية) عندما أخرج كتابه (مظاهر النظرية التركيبية) والذي كان يدعو إلى فصل النحو عن المعنى قد عدل عن موقفه ربما بتأثير أولئك اللسانيين ، فأدرج القواعد الدلالية في نموذجه المعياري.

الدرس الثامن أنواع الدلالة وأنواع المعنى

عرفنا في الدروس السابقة أنَّ الدلالة هي انتقال العقل من الدال – في صورته المحسوسة المفضية إلى صورته الذهنية– إلى المدلول – في صورته الذهنية المفضية إلى صورته المحسوسة – ، وباختصار هي انتقال العقل من الدوال إلى مدلولاتها ، وفي هذه المحاضرة نحاول أن نقف على آليات هذا الانتقال.

1 – أنواع الدلالة :

أنواع الدلالة من الموضوعات القديمة التي أثارها الفكر الإنساني وتناولها الفلاسفة والمفكرون وعلماء الدلالة ، وكان البحث قد انتهى بهم من خلال التقسيم المنطقي لعلاقة الدوال بمدلولاتها أنَّ أنواع الدلالة يمكن أنْ تُقسم إلى دلالة لفظية ودلالة غير لفظية ، كما رأينا عند الجاحظ حين قسم الدلالة إلى دلالة الخط والعقد والإشارة والنصبة ، إلاَّ أن هذا التقسيم يمكن أن يدرج ضمن تقسيم أعمَّ منه هو الدلالة الوضعية ، والدلالة العقلية ، الدلالة الطبيعية .

أ – الدلالة الوضعية:

هي المظهر الآخر للنظرية التواضعية التي ترى أنَّ أصل اللغة العرف والتواضع وفيها ينتقل الفهم من اللفظ المسموع إلى المعنى المقصود عن طريق الاتفاق والتواضع ، تقوم على ثلاثة مبادئ هي اللفظ المسموع ، والمعنى المقصود ، والعلاقة العارضة بينهما؛ وكأنَّ واضع اللغة قال إذا سمعتم هذا اللفظ فافهموا هذا المعنى ، ويكون الإدراك الأول لهذه العلاقة بالتعلم ؛ إذ ليس في مقدور الإنسان أنْ يعرف ما اتفق عليه مَن قبله مِن غير أن يتعلَّمه ممَّن سمعه وعلمه ؛ يقول المسدِّي في هذا المعنى : << لا يتسنى للعقل البشري من تلقاء مكوناته الفطرية ولا الثقافية أن يهتدي إلى إدراك فعل الدلالة إلا إذا ألمَّ سلفا بمفاتيح الربط بين ما هو دال وما هو مدلول ، وهذا الإلمام ليس بفعل الطبيعة ولا هو من مقومات العقل الخالص ولكنه من المواضعات التي يصطنعها المجتمع >>، وعلى هذا النوع من الدلالة تخرج أغلب مفردات

اللغة مع بعض الاستثناءات عند من يرى ذلك وبخاصة في أسماء الأصوات التي يرجح أنها محاكاة.

ب – الدلالة العقلية :

هي الدلالة التي يجد العقل فيها حتمية في الانتقال من الدال إلى المدلول ؛ أي أنَّ العلاقة بين الدال والمدلول حتمية لا يستطيع العقل أن يربط الدال بغير مدلوله ، وهي علاقة الأثر بالمؤثر ؛ ويُمثَّل لها عادة بدلالة الدخان على النار حيث لا يمكن تصور دخان من غير وجود نار ؛ وفيها << يتحول الفكر من الحقائق الحاضرة إلى حقيقة غائبة عن طريق المسالك العقلية بمختلف أنواعها>> وهذه المسالك يمكن إجمالها في :

مسلك البرهان القاطع: هو الذي يتقيد بقيود المنطق العقلي ، كأنَّ تقول : تتلمذ ابن جني على أبي علي الفارسي ، فتفهم وجوبا أنَّ الرجلين تعاصرا.

مسلك القرائن الراجحة : هو الاستدلال الظني ؛ حيث ينطلق العقل من مجموع قرائن تنتهي به إلى نتائج ليست في وزان البرهان القاطع ؛ كأن ترجح أنَّ الطالب غش في الامتحان من قرينة حصوله على علامة جيدة بالرغم من ضعف مستواه وكثرة غيابه .

مسلك الاستدلال الرياضي : يعني النتقال من المعلوم فرضا إلى المجهول تقديرا .

ج – الدلالة الطبيعية:

يعرفها التهانوي بأنها << هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه ، والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع ، سواء كانت طبيعة اللفظ أو طبيعة المعنى أو طبيعة غيرهما (عروض الدال عند عروض المدلول) كدلالة (أح أح) على السعال ، وأصوات البهائم عند دعاء بعضها بعضا ، وصوت العصفور عند القبض عليه فإنَّ الطبيعة تنبعث بإحداث تلك الدوال عند عروض تلك المعاني ؛ فالرابطة بين الدال والمدلول هنا هي الطبع >> .

ومما يحسن التنويه إليه هنا هو أنَّ الدلالة الطبيعية هذه قد تختلف من مجتمع إلى آخر وربما من شخص إلى آخر ، إلاَّ أن هذا لا يمنع من وجود بعض المشتركات الإنسانية ؛ قال الإمام علي بن أبي طالب << ما أضمر أحدٌ شيئا إلاَّ ظهر في صفحات وجهه وفلتات لسانه >> لذلك فإنَّ الذي يسلك ضمن هذا النوع من الدلالة هو هذا المشترك كاحمرار الوجه أو الارتعاش دليلا على الارتباك ومن ثمَّ الجناية ، أو ما يقترب من هذا المعنى ويشابهه ، علما أنَّ أرسطو أدرج الدلالة الطبيعية ضمن الدلالة العقلية.

2 – أنواع المعنى :

المعنى هو الحمولة الدلالية للألفاظ ، وهي التي تحيل إليه إلاَّ أنها قد لا تكفي وحدها في تبين مقاصد الناطقين بها لما تحدث فيها السياقات والأوضاع المختلفة من تأثير يرقى إلى حدِّ إلغاء أصل التواضع ، أو حصر الدلالة اللفظية في معنى دون آخر في حال الاشتراك اللفظي ممَّا يجعل التعويل على المعاني المعجمية الإفرادية وحدها ليس كفيلا بتأدية الحاجة التواصلية فضلا عن باقي وظائف اللغة ، لذلك فإنَّ علماء اللغة يفرقون بين جملة من المعاني هي :

أ – المعنى الأساسي (المعجمي):

ويسمَّى كذلك المعنى التصوري أو الإدراكي ، وهو أصل التواضع أيْ الدلالة الإفرادية ، من خصائصه أنه مجمع عليه ، وهو الذي يقيد في المعاجم ، ويعرفه كلُّ من يتكلم اللغة ، سواء لغة الأم أم لغة ثانية ، كدلالة لفظ الإنسان على الفرد من الناس أو دلالة لفظ الأسد على الحيوان المعروف. **2 . المعنى الإضافي (الثانوي) :**

هو معنى زائد عن المعنى الأساسي يُفهم من خلال السياق ، أو هو دلالة إضافية يحملها اللفظ فوق دلالته الأساسية كأن نعبر عن الرجل الشجاع بلفظ الأسد فنقول : قاد المعركة أسدٌ ، أو عن الرجل الماكر والمخادع بلفظ الذئب ؛ فنقول: فلان ذئب ، أو عن الرجل العالم بلفظ البحر إذ في كل هذه الألفاظ المعنى الأساسي الأول ، والمعنى الثاني الذي حملها به السياق بعلاقة المشابهة أو غيرها من العلاقات ، ومن خصائص هذا المعنى أنه غير

مشترك بين مستعملي اللغة لأنه وليد السياقات الاجتماعية التي قد لا تكون مشتركة ، كما أنه مظنَّة الغموض و اللبس في الترجمة عند عدم الإلمام بمكونات السياق.

ب – المعنى الأسلوبي :

هو نوع آخر من المعنى يرتبط بالمستوى الثقافي لمستعملي اللغة و أوضاعهم الاجتماعية أو مهنهم، أو جنسهم أو ما يتصل بذواتهم ومجتمعاتهم وبيآتهم ويؤثر في فكرهم وبالتالي في لغتهم ، حيث تحدد دلالات الألفاظ من منطلق معرفة الناطقين بها ؛ حيث يستفاد من كلام المتكلم المقصود الأول فيه وهو المعنى الأساسي ، ويستفاد كذلك معنى آخر يتصل بالمتكلم ، كأن نعرف أنَّ المتكلم من طبقة اجتماعية أو ثقافية معينة من خلال المعجم الذي يوظفه في تواصله ، فمعنى التحية مثلا يؤدَّ بعبارات متعددة منها : السلام عليكم ، صباح الخير ، كيف الحال ، يسعد صباحك ، bon jour ،....وكل عبارة تصنف قائلها في خانة معينة ،الحديث عن الزوجة بلفظ : الزوجة ، العائلة ، العقيلة ، القرينة ، الأهل ، الدار ، المادام ولكلٍّ لفظ دلالة أسلوبية تحدد بيئة قائله ، ولفظ "الجذر" يتلفظ به الفلاح فيأخذ عنى ، ويتلفظ به أستاذ اللغة فيأخذ معنى ثانيا ، ويتلفظ به أستاذ الرياضيات فيأخذ معنى ثالثا ، ولفظ الصرف له عند أستاذ اللغة معنى وعند المحاسب معنى وعند السمكري معنى آخر من غير أن تلغى المعاني الأساسية في كل هذه الألفاظ .

ج – المعنى النفسي :

من خصائصه الفردية لأنه يتعلق بالأفراد أكثر من تعلقه بالبيئات أو المجتمعات ، وهو يعكس الحالة النفسية لمستعمل اللغة ، كما أنَّه قد يدِقُّ عن الملاحظة فلا يستطيع كشفه إلا المتمرسون بتحليل الخطابات ، ويمكن تلمُّسُه في حديث المتكلمين أو نصوص الأدباء والشعراء بشكل إجمالي ؛ فلا يمكن مثلا أن يخطئ القارئ المتمرس ما في شعر المتنبي من اعتداد بالذات وتعال أو ما في شعر الأخطل من اعتداد بالقبيلة والنسب ، أو ما في نثر الإبراهيمي أو المنفلوطي من اعتزاز باللغة العربية...

د – المعنى الإيحائي:

هو المعنى المستفاد ضمنا من الكلمات التي يمكن أن توصف بالشفافية والإيحاء في الألفاظ ثلاثة أنواع:

1 الإيحاء الصوتي : ويكون في الكلمات ذات الجرس الذي يقترب من صوت المعنى وهو أوضح صورة في أسماء الأصوات التي أوحت لأهل اللغة القول بالمحاكاة في أصل اللغة ، أو بتكرار مقاطع الكلمات الدالة على معان فيها صفة التكرار والأمثلة على ذلك كثيرة منها أصوات الحيوانات كالعواء والمواء والزئير والنهيق والنعيق ، أو الحفيف والخرير والصرير ، وقد نقل لنا ابن جني رأي الخليل حين أعمل الفكر في علاقة الصوت بالمعنى من خلال صوت البازي ، وصوت الجندب ، أو مفهوم القضم والخضم ، أو الهزِّ والأزِّ وقد مر بنا كل ذلك في محاضرة علاقة علم الدلالة بالعلوم اللغوية.

2 الإيحاء الصرفي : قد يكون الإيحاء مستقى من البنية الصرفية للكلمة ، كما في الأفعال الرباعية الدالة على التكرار مثل صرصر، جلجل ، قعقع ، مهمه ، بلبل، حيث يعكس تكرار المقطع تكرار الفعل ، أو في صيغ الأخرى كبعض صيغ المبالغة التي تشي الشَّدة فيها بنوع من المبالغة كما في صيغة فَعَّال ، أو فِعِّيل مثل " قتَّال" التي تؤدي دلالتها – كثرة القتل – صراحة من التواضع وإيحاء من الصيغة الصرفية.

3 الإيحاء الدلالي: نوع يكثر في عبارات التأدب والتلطف وما يستقبح التصريح به من الممنوعات جميعها وهو أقرب إلى تواضع جديد لا ينحصر في اللفظ بل يتعداه أحيانا إلى العبارة كلها ، كالتعبير عن الجماع بلفظ الحرث ؛ قال الله تعالى : << نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم >> ، أو التعبير عن معاني قضاء الحاجة بالخلاء أو بيت الراحة ، أو التعبير عن المفاهيم السياسية أو الأمنية التي يؤدي ذكرها إلى حرج ما ....

الدرس التاسع مناهج دراسة المعنى (النظرية السياقية)

ربما ارتبطت النظرية السياقية باللغوي الانجليزي (فيرث) ، الذي ركز على الوظيفة الاجتماعية للغة وأساسها مفهوم سياق الحال الذي يعرفه فيقول " هو جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي ومن ذلك شخصية المتكلم والسامع (المخاطب والمخاطب)، وتكوينهما الثقافي بالإضافة إلى شخصيات من يشهدون الكلام، غير المتكلم والسامع – إن وجدوا – وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي مثل حالة الجو، والوضع السياسي، ومكان الكلام. ومن هنا نعرف أن سياق الحال تتشابك في دلالته عناصر كثيرة.

وأصحاب هذه النظرية يحددون معنى الكلمة بأنه: استعمالها في اللغة ، فالمعنى لا يظهر إلا إذا كانت الكلمة في السياق. وإذا أريد معرفة دلالة كلمة فيجب وضعها في سياقات مختلفة، لأن الوحدات اللغوية المجاورة لها ذات أهمية في تحديد معناها، فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي تقع فيها لغوية أم غير لغوية . ويتعدد معنى الكلمة تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها .. يقول العالم اللغوي (هردر) ما معناه : إذا اعتقدنا أن للكلمة أكثر معنى واحد في سياق واحد فنحن في حالة انخداع كبير، ويقول مارتينيه: "خارج السياق لا تتوفر الكلمة عن معنى".

ومن السياقات التي اقترحها الباحثون: السياق اللغوي – السياق العاطفي – سياق الموقف – السياق الثقافي، ويكفي لتوضيح هذه السياقات أن نأتي بأمثلة لكل سياق منها:

1. **السياق اللغوي**: و نمثل له بلفظ/كلمة (صالح) فنقول:

- رجعت من السفر صالحا، أي سالما معافى.

- تجهزت جهازا صالحا، أي جيدا حسنا.

- تزود المسافرون زادا صالحا، أي كثيرا.

- لأشدن الحبل شدا صالحا ، أي (شديدا، قويا).

- وجدت في رحلتي صالحا ، أي نافعا.

- رزقني الله ولدا صالحا أي ، بارا مستقيما.

وكلمة قرن مثلا قد تعني حسب السياق : قرن الثور أو الخروف، أو القرن الإفريقي أو القرن العشرين أو قرن اللوبياء. وكلمة good بالانجليزية ، فإذا وردت مع كلمة رجل good man فهي تعني الناحية الخلقية وإذا وردت وصفا لطبيب فهي تعني التفوق في المهنة، وهكذا.

2 . السياق العاطفي:

وهو الذي يحدد درجة الانفعال بين القوة والضعف مثال الفرق بين الضغينة والكره، ويمكن أن نستعمل كلمة (أحب) فنقول (أحب الشتاء) وأحب والدي فالسياق الكلامي بين المعنيين يفرق بين المعنيين.

3 . سياق الموقف:

ومثاله قولنا (الله يسهل) فقد تكون بمعنى دعني وابتعد في موقف معين، وقد تكون بمعنى الدعاء للمخاطب بأن يسهل الله له طريقه وعمله، وقد تكون بمعنى الاستنكار لما يصدر عن المخاطب من فعل.

4 . السياق الثقافي:

ويمكن أن نمثل له بكلمة (الخط). فهي عند الطالب أو الأستاذ تعني الكتابة وحسنها أو عدم حسنها من الناحية الفنية ، أو نوع خط من خطوط الكتابة عند الخطاطين أو دروس

الخط ، كالخط الكوفي، أو الرقعي أو الثلث أو غير ذلك. وهي غير ذلك عند عامل الهاتف ، أو عند النجار، أو الفلاح أو العامل في وزارة النقل والمواصلات، مثل خط الحافلات، أو السكك الحديدية. على أن السياق الثقافي قد يكون أوسع من ذلك مع اتساع دائرة الاستعمال اللغوي.

مميزات المنهج السياقي:

أما أهم ميزات المنهج السياقي فهي:

1 . أنه يجعل المعنى قابلا للتحليل الموضوعي.

2 . لم يخرج في التحليل اللغوي عن دائرة اللغة ، أي دون الخروج عن دراسة العلاقات اللغوية كما فعل بعض الباحثين عندما أرادوا دراسة المعنى وشرحه في ضوء متطلبات غير لغوية.

نقد المنهج السياقي:

أما ما واجهته نظرية السياق من انتقادات فيتمثل في:

1. أن نظرية السياق – كما جاء بها فيرث – (اهتمت بدراسة المعنى في معزل عن مستويات البنية اللغوية الأخرى).

2. إن الحديث عن السياق – لاسيما في سياق الموقف – كان غامضا وغير محدد نوعا ما.

3. هذا المنهج قد لا يكون مفيدا لمن يبحث عن معنى كلمة لا يوضح السياق معناها.

وقد ركز بعض أصحاب هذه النظرية على السياق اللغوي، عندما اهتموا بما سمي بالرصف وهو علاقة كلمة أو عدة كلمات بأخر علاقة شبه ملازمة فكلمة (الانصهار) تلازم المعادن مثل: الحديد والنحاس والذهب والفضة ولا تلازم الجلد والخشب.

وإذا كانت الكلمة قد تنتظم مع أكثر من مجموعة، وتقع في أكثر من سياق لغوي فقد ظهر مصطلح (الوقوع المشترك) أو مصطلح (احتمالية الوقوع)، ولذا لا بد من تبديل أنواع السياقات اللغوية أو وضع الكلمة في سياقات مختلفة لإصدار الأحكام الصحيحة. فكلمة (نزل) لها سياقات لغوية مختلفة مثل: نزل المطر- نزل إلى السوق – نزل عند رأي الجماعة – نزل منزلة رفيعة في قومه ...

الدرس العاشر مناهج دراسة المعنى (النظرية الحقول الدلالية)

لم تتبلور فكرة الحقول الدلالية إلا في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين على يد علماء سويسريين وألمان ثم تطور السيمانتيك في فرنسا باتجاه خاص حيث ركز motore وأتباعه (1953) على حقول تتعرض ألفاظها للتغيير والامتداد وتعكس تطورا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا هاما.

تبني هذه النظرية على المفهوم الحقلي، وهو المفهوم الذي يندرج تحته مجموعة من العناصر التي تربطها علاقة ما ، لأن المفهوم قاعدة تصنيفية، تصنف من خلالها أشياء الكون وعناصره وفق قواعد معينة.

ويعرف الدكتور عبد السلام المسدي الحقول الدلالية بقوله: " أما الحقل الدلالي لكلمة ما فتمثله كل الكلمات التي لها علاقة بتلك الكلمة، سواء كانت علاقة ترادف أو تضاد أو تقابل جزئي أو كلي.....فكل مجموعة نسميها الحقل ، والحقل هو المعنى العام الذي يشمل كل الوحدات (الحيوان هو الحقل الذي تندرج فيه كل الحيوانات (المخلوقات التي فيها الحياة والحركة)".

وتعتبر منهجية تحليل الحقول الدلالية هي الأكثر حداثة في علم المعاني (علم الدلالة) فهي لا تسعى إلى تحديد البيئة الداخلية لمدلول الكلمات فحسب، وإنما إلى الكشف عن بيئة أخرى تسمح بالتأكد من أن هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد من الكلمات ، ولا تصنف هذه الطريقة مدلول الكلمات في حقول دلالية مبنية على الترادف والتماثل فقط مثل: طالب، تلميذ. وإنما تكون كذلك مبنية على التضاد مثل الطويل – القصير، الأبيض – الأسود، الصغير– الكبير، أو على علاقة التدرج، أو على علاقة السبب بالمسبب. بالإضافة إلى ذلك فقد تكون العلاقة في الحقل الدلالي مبنية على الأوزان الاشتقاقية والتصنيفات النحوية أو

الحقول السنتجماتية (وسوف نفصل ذلك فيما بعد). إن هذا التحليل الأولي للحقول الدلالية تتبعه امتدادات فمن جهة:

- التقابل الكلي: ليل / نهار
- التقابل الجزئي: يوم / نهار
- التدرج: هزيل / ضامر / أعجف، والمرأة : ربحلة . سبحلة . ضناك . عفضاج
- السبب والمسبب: سحاب / مطر.

إن أصحاب نظرية الحقول الدلالية يذهبون إلى أن فهم معنى كلمة ما يقتضي فهم مجموعة الكلمات التي ترتبط بها دلاليا ، ولذا يعرف أحد العلماء معنى الكلمة بأنه محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل الدلالي والمعجمي. وهدف التحليل في هذه النظرية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلا معينا والكشف عن صلاتها الواحدة بالأخرى ، وصلاتها بالمصطلح العام.

وهناك جملة من المبادئ تتعلق بهذه النظرية هي:

1. ليست هناك وحدة (لغوية معجمية) تنتمي إلى أكثر من حقل.
2. ليست هناك وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
3. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
4. يستحيل أن تدرس المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

وهذا لا يعني سهولة تصنيف الكلمات في حقول دلالية، فقد يستعصي أحيانا إدراج بعض الكلمات في حقل دلالي معين ولهذا تبدو مشكلة تصنيف المعجمات وفقا للحقول الدلالية مستعصية الحل، ويظهر ذلك فيما يلي:

1. صعوبة حصر الحقول الدلالية ، أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها .

2. صعوبة التمييز بين الكلمات الأساسية ، والكلمات الهامشية داخل الحقل، فالكلمة الأساسية هي الوحدة المعجمية المفردة، ولا يمكن التنبؤ بمعناها من خلال معنى أجزائها فقد يعتمد التمييز على الاستقراء والإحصاء للكلمات الأكثر استعمالا.

3. صعوبة تحديد العلاقات بين الكلمات داخل الحقل والعلاقات هي: الترادف – الاشتمال – التضاد – التنافر...) . والتضاد منه الحاد مثل: ميت/حي، والمتدرج مثل: ساخن/بارد، والمتعاكس مثل: باع/اشترى.

كما أنه من الصعب وضع الحقول الدلالية لعدد كبير من الكلمات ، فلا نستطيع أن نقول إن هذا الأمر ينتمي إلى حقل دلالي معين (النسر) الذي ينتمي إلى حقل (الطيور) أو حقل الجوارح أو حقل الطيور غير الأليفة فهناك تداخل في الحقول الدلالية. كما أن الحقول الدلالية ليست مغلقة بل هي مفتوحة، ويضاف إليها دائما. لأن التطور الاجتماعي يؤثر على المعاجم، ويمكن التمثيل لذلك بحقل وسائل النقل و المواصلات مثل (حمار، جمل، عربة، سيارة، طائرة، سفينة فضاء.....). وقد تنقرض أو تنزوي بعض الوحدات المعجمية لتفسح المجال لوحدات أخرى في الاستيراد إذ عندما تظهر لفظة جديدة بواسطة التوليد أو الاقتراض أو غير ذلك فان مدلول هذه الوحدة الجديدة يبنى على حساب مدلول الوحدات السابقة التي تفقد جزءا من دلالتها عندئذ. وهكذا تقع هذه الوحدة الجديدة في السياقات والحقول التي كانت تقع فيها الوحدات السابقة مثل: المحراث اليدوي / التراكتور.....وإن كانت قد تتعايش معها لفترات طويلة، وإن كانت الصعوبة تتعلق بتصنيف المفاهيم ، فقد وضع الباحثون أسسا يمكن بها تصنيف المفاهيم في حقول بعد أن حددوا المفهوم بأنه قاعدة معرفية، يمكّن الفرد من تحديد صفة تصنيفية معينة وقد أشار بعضهم (تشو مسكي) إلى مجموعة من الأمثلة.

إن مجموعة الملامح المشتركة بين كرسيين بالرغم من طابعيهما المختلفين تكون التفريق الصحيح للمداول (كرسي) .....في الفرنسية مثلا، وهذه الملامح هي:

بظهر – على قدم، لشخص واحد، للجلوس، بمساند، من مادة صلبة (خشب)، هذه هي الملامح الخاصة للكرسي، وبالمقارنة مع الأريكة نجد أنها: للنوم وليست للجلوس فهناك خاصية تميزها عن الكرسي. وهكذا فان الخصائص التي اكتشفت بشكل مستمر تعطي للكرسي مميزاته الدلالية المركبة.

إن هذا التحليل الأولي تتبعه امتدادات فمن جهة إذا قارنا هذا التمييز الدلالي واضعين في الاعتبار مدلولا معينا مع مميزات دلالية مركبة مجاورة جامعة تقريبا فإننا نتوصل إلى تعيين تلك الميزات الدلالية المركبة التي يعين غيابها كل واحد من العناصر التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد.

وفيما يلي جدول يبين المميزات الدلالية المركبة المميزة لخمسة عناصر في حقل الكرسي:

	م1	م2	م3	م4	م5	م6
كرسي	+	+	+	+	+	+
متكأ	+	+	+	+	+	+
اسكملة	–	–	+	+	–	+
أريكة	+	+	–	–	+	+
دشكة	–	–	+	+	–	+

المميزات	بظهر	على قدم	لشخص واحد	للجلوس	بمساند	من مادة صلبة	

و يقال : إن سوسير كان هو السبّاق إلى طرح المجالات الدلالية حيث أشار إلى أن الدليل يمكن أن يخضع إلى نوعين من العلاقات المترابطة:

1 . علاقات مبنية على الصيغة، فكلمة (تعليم) توحي بكلمات مثل: علّم – علم – معلم

2 . علاقات مبنية على المعنى والمدلول ، فكلمة تعليم توحي بكلمات مثل : تربية، تكوين، تنشئة، رعاية.

وقد طرح جورج مونان قضية الحقول الدلالية بدقة بقوله " هل يمكن . من الوجهة النظرية . بناء على هيكلة مجموعة مكونة من عدد غير متناه من الوحدات، كوحدات المعجم اللغوي، وهل يمكن على نحو أكثر شمولية ودقة القيام بذلك بالنسبة إلى مجموعة الظواهر اللغوية التي تتوفر على معنى".

ويفهم من هذا الكلام أن مونان يشكك في إمكانية وضع الحقول الدلالية لكلمات كثيرة ، حيث يرى أن ذلك من الصعوبة بمكان.....

وهذا ما كنا قد أشرنا إليه عندما مثلنا بكلمة (النسر) وإلى أي حقل دلالي يمكن أن تنتمي حيث تتداخل الحقول الدلالية.

كما أشرنا إلى أن الحقول الدلالية مفتوحة وليست مغلقة ومثّلنا لذلك بوسائل النقل (الحمار، العربة، السيارة.....).

ولذا فإنه لضبط خصائص العلاقات القائمة داخل حقل من الحقول فإن الكيفية المعتمدة متمثلة في تحليل الوحدات إلى صفات، فالوحدات المنتمية إلى النظام الدلالي نفسه تتوفر كلها على صفة مشتركة واحدة على الأقل وهي الصفة المحددة للحقول. وتختلف بعضها عن بعض بصفة واحدة على الأقل وحينئذ فإن المظهر الصوري للتحليل سيسمح بالوقوف على العلاقات والاختلافات الموجودة، بين مكونات الحقل ، ونوضح ببعض الأمثلة أيضا:

1. دراجة نارية: صفاتها: بعجلتين لشخصين على الأكثر، تنتقل بمحرك، لها فرامل، مقود من الجانبين.

2. الحافلة: صفاتها: تنتقل بمحرك، لها أربع عجلات على الأقل، الركاب أكثر من ثمانية، المقود دائري، فرامل زيتية.....

3. سيارة: صفاتها: تنتقل بمحرك، أربع عجلات، مقود دائري، عدد الركاب لا يقل عن أربعة ولا يزيد عن سبعة بفرامل زيتية، مغطاة.....

ولو درسنا هذه الخصائص المعنوية لوسائل النقل السابقة لوجدنا أنها تختلف في بعض الخصائص وتتفق في أخرى.

ولهذا نجد أن أبا هلال العسكري قد تناول الفروق في اللغة في كثير من الكلمات التي توهم الناس أنها مترادفة فأشار إلى ما بينها من فروق دقيقة ، رغم انتظامها في حقل دلالي واحد.

وبقي أن نعود إلى توضيح مفهوم الحقول السنتجماتية التي تشمل الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال ، دون أن تقع في الموقع النحوي ذاته. فكلمات مثل كلب / نباح، فرس / صهيل، زهر / يتفتح، طعام / يقدم، أشقر / شعر، يسمع / أذن....

وبعضهم يقسم العلاقات بين كلمات الحقل السنتجماتي إلى:

1. الوقوع المشترك مثل في الانجليزية travel by foot أو go by foot.

2. التنافر مثل walk by foot و run by foot

معجم الحقول الدلالية:

أدت نظرية الحقول الدلالية إلى وضع يعتمد كافة الحقول الدلالية في اللغة وتقدم فيه المفردات داخل كل حقل. وربما كان أشهر معجم أوربي مبكر صنف على أساس الموضوعات هو المعجم الذي وضعه Roget لكلمات اللغة الانجليزية وعباراتها، الذي ذكر في مقدمة هذا المعجم إلى أنه مرتب ليس على حساب النطق ولا الكتابة و إنما حسب المعاني. ولعل أحدث معجم يعتمد نظرية الحقول الدلالية هو المعجم الذي عنوانه Greek New Testament ولا بد من الملاحظة هنا إلى أنه كان للعرب أسبقية في ميدان المعاجم المعنوية ابتداء من رسائل الموضوعات التي وضعها جامعو اللغة الأول. ويقوم عمل معجم مصنف للمفاهيم على أساسين:

1. وضع قائمة بمفردات اللغة .

2. تصنيف هذه المفردات حسب المجالات أو المفاهيم التي تتناولها.

وكان (أولمن) قد قسم الحقول الدلالية إلى ثلاثة أنواع.

1. الحقول المحسوسة المتصلة: والمثال على ذلك نظام الألوان إذ إن مجموعة الألوان امتداد متصل من الممكن تقسيمه بطرق مختلفة، وتختلف اللغات في ذلك التقسيم.

2. الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة كنظام العلاقات الأسرية، وهي أيضا يمكن أن تصنف وفق معايير مختلفة.

3. الحقول التجريدية وتمثلها الألفاظ الخاصة بالمعاني الفكرية غير المحسوسة.

الدرس العاشر مناهج دراسة المعنى (النظرية التحليلية)

تعتمد النظرية التحليلية دراسة المعنى من خلال تحليل الكلمات ضمن كل حقل دلالي وبيان العلاقات بين معانيها وكذلك تحليل كلمات المشترك اللفظي وتحليل المعنى الواحد إلى عناصره التكوينية المميزة.

أولا: تحليل كلمات المشترك اللفظي:

كل معنى للكلمة يمكن تحديده عن طريق المتابعة من المحدد النحوي إلى المحدد الدلالي إلى المميز مثال ذلك. Bachelor

حيث أن المعاجم تعطي لكلمة (bachelor) المعاني التالية:

1. فارس صغير يخدم تحت فارس آخر.
2. حامل الشهادة الجامعية الأولى.
3. الرجل الأعزب
4. حيوان بحري بدون أنثاه خلال فترة الإخصاب.

وقد يحدد المحدد الدلالي بين عنصرين مختلفين في الجنس مثل: بنت / ولد – بقرة / ثور.

فكلمة ولد لها المحددات الدلالية: اسم – حي – إنسان – ذكر – صغير السن.

و تمتلك كلمة (بنت) العناصر نفسها عدا (أنثى) بدل (ذكر).

تحليل المعنى إلى عناصر تكوينية:

ويعتبر هذا النوع من التحليل امتدادا لنظرية الحقول الدلالية حيث يلجأ الباحث إلى استخلاص أهم الملامح التي تجمع كلمات الحقل من ناحية والتمييز بين أفراده من جهة أخرى. أما الخطوات الإجرائية لهذا التحليل فهي:

1. استخلاص مجموعة من المعاني تشكل مجالا دلاليا خاصا نتيجة تقاسمها عناصر تكوينية مشتركة (أب، أم، ابن، بنت، أخت، عم.....) (كائن بشري يتصل بالآخر عن طريق الدم أو المصاهرة).
2. تقرير الملامح التي تستخدم لتحديد المحتويات التي تستعمل للتمييز (الجنس – الجيل – الانحدار والمباشرة وقرابة الدم والمصاهرة).
3. تحديد المكونات التشخيصية لكل معنى على حدة – فمعنى (أب) يتميز بملامح أو مكونات –كذا وكذا -.
4. وضع الملامح إما في شكل مشجر أو شكل جدول.

المكونات الشخصية	أب	أم	عم	عمة	أخ	أخت	ابن	ابنة	ابن العم	زوجة
الجنس: ذكر / أنثى	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث
الجيل: 1+ / 1 / نفسه	1+	1+	1+	1+	نفسه	نفسه	1-	1-	نفسه	نفسه
الاتصال: مباشر / 1+ / 1-	م	م	1+	1+	1+	1+	م	م	2+	م

القرابة دم : م مصاهرة : ص	د	د	د	د	د	د	د	د	د	ص

الدرس الحادي عشر أسباب التغير الدلالي

لما كانت اللغة ترجمان الفكر وكان فكرُ الإنسان متغيِّرا متطورا كان لزاما أنْ تساير اللغة تطور الفكر وتجاريَّه حتى تؤدي عن الإنسان المقاصد التي تتحقق بها حياته واجتماعيته، لكن ذلك يقتضي أيضا أنْ تتناسب اللغة كمًّا مع الفكر وهي قضية يُفترض تحققها في العصور الأولى للحياة البشرية حيث كان الفكر البشري في مرحلة البدائية والبساطة لا يحتاج من مفردات اللغة أكثر من حديثه عن صيده ورعيه ، أو طعامه وشرابه ، لكن مع تطور الفكر والحضارة على مرِّ العصور والأزمان وُجدت للإنسان اهتمامات متعددة المناحي ، بين الصناعة ، والسياسة ، والزراعة ، والفكر ، والأدب ، والعلوم، وشتى مجالات الحياة ، فضاقت بها اللغة من منطلق محدودية المعجم مهما كان اتساعه في مقابل المعاني غير المتناهية ، فكان لزاما على أهل اللغة إمَّا أن يُوجدوا ألفاظا جديدة لِما جدَّ من أشياء ومفاهيم ، أو يُخصِّصوا لها من الألفاظ ما يمكن الاستغناء عن معناه فينشأ عن ذلك أن تتغير دلالات بعض الألفاظ من معنى إلى معنى ، وهو المقصود بمصطلح التغير الدلالي ، فما هي أسبابه، وما هي أشكاله؟

قبل الحديث عن أسباب التغير الدلالي وأشكاله تجدر الإشارة إلى أنَّ التغيرات الحضارية الكبرى تشكل معالم في تاريخ اللغة ، و اللغة العربية شهد تاريخها محطات كبرى ، منها مجيئ الإسلام الذي أحدث ثورة في المعجم العربي ، كما يذكر ذلك ابن فارس في الصاحبي ، وكذا الفتوحات الإسلامية التي فتحت القاموس العربي على لغات الأمصار التي دخلها الإسلام فأثَّر فيها وتأثَّر بها ، ومن المحطات الكبرى في تاريخ اللغة العربية كذلك ما شهده الوطن العربي في القرن التاسع عشر من الاحتلال الغربي الذي سعى جادًّا لطمس اللغة العربية وإحلال اللغات الغربية محلها فظهر أثر ذلك جليًّا في اللغة بشكل عام والمعجم بشكل خاص ، أمَّا في التاريخ المعاصر فإنَّ الثورة التكنولوجية وما تطالعنا به العلوم المختلفة في كل يوم وساعة من اكتشافات ومخترعات فرضت على اللغة إيقاعا متسارعا من أجل

مسايرة هذا الواقع الأمر الذي جعل المعجم في مسيس الحاجة إلى تحديث منهجه وتفعيل آليات توليد المفردات كالنحت ، والاشتقاق ، والاقتراض ، والتعريب وغير ذلك.

وقد أولى القدامى موضوع التغير الدلالي عناية خاصة في مؤلفاتهم ووقفوا عند تغير دلالات كثير من الألفاظ وحاولوا استقصاء أسباب الظاهرة حيث عرض – مثلا – أبو حاتم الرازي في كتابه " الزينة " لتطور دلالات بعض الألفاظ ورأى أنَّ مفردات المعجم أربعة أصناف : قديمة موروثة ، أو جديدة تضاف دلالتها وإن لم تكن حادثة ، أي أنَّها أُشربت دلالة زائدة عن دلالتها الأولى بإحدى طرق التغير الدلالي ، أو جديدة في صيغتها ودلالتها ، أو محوَّلة بالتعريب عن إحدى اللغات الأجنبية، وعدَّ الانتقال من المحسوس إلى المجرد من أهمِّ أسباب التغير الدلالي ، ورأى أبونصر الفارابي أنَّ الحاجة الحضارية المتجددة تستوجب أن تجاريها حركية في اللغة ، أمَّا عند المحدثين فإنَّ التصنيف الأكثر إلماما بالموضوع هو ما تركه (أنطوان ميِّيه) وطوَّره الدانماركي (نيروب) حيث عرض للظاهرة بشكل شمولي تناول فيه أهمَّ الأسباب التي تدعو إلى التغير الدلالي وما يمكن أنْ يتصل به من قضايا لغوية.

1 – أسباب التغير الدلالي:

يمكن تقسيم أسباب التغير الدلالي إلى أسباب لغوية وأخرى غير لغوية.

أ – الأسباب اللغوية:

هي الأسباب المتصلة باللغة نفسها، وفي مقدمة ذلك الأسباب الصوتية كتقارب مخارج الأصوات في الكلمة الواحدة (وهو ممَّا ينتقص من فصاحة الكلمة) الذي يؤدي إلى إحلال صوت محلَّ آخر كما ينطق بعض العامة " الشمس " "السمش"، أو " النفاثات في العقد " " النفاثات في القُعد " والخلط بين اللام والنون في كلمات كثيرة كـ : " اللسان" تنطق " النسال " ، أو " السلسلة " تنطق عند البعض : " السنسلة " أو الخلط بين الغين والقاف فيتحول " القدر" " غدرا " و" القول " " غولا " ، و" الطاغية" "طاقية" أو استبدال الكاف بالقاف فتصير : "قاد" إلى " كاد "، والذي يؤدي إلى التغير الدلالي هو فهم هذه

الكلمات وِفق ما سُمعت ثم نقلها على تلك الهيئة ، فيحدث أنْ تنتشر بالصورة الخاطئة ثم يتعايش المعنيان الخاطئ والصحيح فينشأ عن ذلك ترادف بين الكلمتين، ومن الأسباب اللغوية ما يُعرف بالانحراف اللغوي ؛ حيث يُوظَّف لفظٌ ما توظيفا خاطئا وتفرض كثرة الاستعمال التعامل معه كالواقع المفروض إلا أنَّ اللغويين يتصدَّون له بالتصحيح ومن أسباب الانحراف اللغوي :

1 سوء الفهم : فيه يلتبس معنى كلمة ما عند السامع فيتأولها بما هو قريب منها أو بما رأى هو أنه لها من معنى ثمَّ يتعامل بها الناس وفق دلالتها الجديدة

2 القياس الخاطئ : ينشأ من قياس غير المعلوم على المعلوم وذلك عند غموض معنى كلمة ما فيحملها السامع على أقرب كلمة إليها معتمدا في ذلك على السياق.

3 أخطاء الأطفال: إمَّا من قصور الفهم نتيجة الاكتفاء بالشكل الخارجي للأشياء كأن يسميَّ كل طائر حمامة أو كل عربة سيارة ، أو كلَّ رجل أبًا ... أو من قصور النطق نتيجة عدم اكتمال نموِّ جهازه النطقي ثمَّ يجاريه الكبار تلطُّفا .

ومن الأسباب اللغوية ما يتصل بالاشتقاق الذي يعطي صيغا قد تتداخل في دلالاتها ثم تنتقل دلالة كلمة إلى أخرى ؛ تقول العرب : " ضربه فأشواه" تقصد أصاب منه أطراف جلده وهي جمع شواة وقد يُفهم منه شواه بالنار التباسا بين "شوى" و"أشوى" ، ومن الأسباب كذلك الأسباب السياقية كتغير دلالة " الفشل " من معناها الصحيح "الضعف" إلى الإخفاق نتيجة كثرة الاستشهاد بالآية الكريمة " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ".

2 – الأسباب غير اللغوية:

أ – الأسباب الاجتماعية:

هي التي تحدثنا عنها في المبحث السابق تحت صفة الحضارية لأنَّ الحضارة ليست سوى حركية المجتمع وهي حركية متعددة الاتجاهات ؛ حيث إنَّ التطور الحاصل في أي مجال من

مجالات الحياة يستدعي وعاء لغويا جديدا يحمل ما جدَّ من أفكار وهذا يقتضي تغيرا في دلالات الألفاظ.

ب – الأسباب النفسية :

قد تدعو الحاجة التواصلية إلى أكثر من نقل الحمولة الدلالية بالألفاظ حيث تطلب مستوى من التلطف مع المخاطب أو التفاؤل أو التجاوز عن جانب من الواقع مراعاة لشعور المتلقي على نحو ما نجد في المعجم العربي حيث يخاطب اللديغ بلفظ السليم و تسمَّى الأدراج سلَّمًا، والصحراء مفازة ، والموت وفاة ، وحيث يكنى عن علاقة الرجل بالمرأة بلفظ القُرب أو الملامسة ، وعن موضع قضاء الحاجة بـ : الخلاء ، وعن الملح بـ : الربح ، وأمثال هذا كثير في اللغة العربية وهو دليل على المستوى الحضاري لأهلها ، كما أنه من أهم أسباب التغير الدلالي حيث يفرض أن يكون للكلمة فوق معناها الأصلي المعنى المستجلب للتفاؤل أو التلطف أو نحو ذلك من الحاجات النفسية .

ج – الأسباب الثقافية :

قد تكون العوامل الثقافية من الأسباب التي تؤدي إلى تغير الدلالات ، وذلك عند التقاء الثقافات وتجاورها مما يؤدي إلى اقتراض بعض الألفاظ من لغة إلى أخرى كم حدث بين اللغة العربية واللغة الفارسية في العصر العباسي نتيجة اختلاط وتساكن المسلمين من الناطقين باللغتين ، وبخاصة لما كانت عاصمة الدولة الإسلامية بغداد القريبة من بلاد فارس ، وكان بعض الفرس يشتغلون في دواوين الإنشاء ، ومراكز السلطة ، وكما الحال كذلك في البلاد العربية كلها غداة الاحتلال الغربي وبعده إلى اليوم حيث سرت كثير من المفردات الغربية على ألسنة وأقلام كثير من الكتاب فضلا عن العامة وأدخلت القاموس العربي من مثل : صالون أو صالة عوضا عن بيت الضيوف، و طاطا بدلا من خالتي و أونكل عوضا عن عمي أو خالي ، أو المارشي و ليكول بدلا من السوق والمدرسة ، وغير ذلك كثير، والذي يترتب عن هذه الستعمالات هو أن الكلمة المستجلبة قد يكون لها أصل في اللغة المجلوبة

إليها فتكون بعد ذلك من قبيل المشترك اللفظي أو تهجر المفردة الفصيحة تحت تأثير الاقتصاد والميل إلى الأخف فتُحيي بدلالة جديدة .

ويمكن أن نميز في التغير الدلالي بين نوعين ؛ فهو إمَّا تغيُّرٌ قسري غير إرادي نتيجة الأسباب التي ذكرنا أو غيرها من الأسباب ، أو تغيير إرادي تقوم به المؤسسات المختصة كالمجامع اللغوية والمعاهد المتخصصة في تطوير اللغة أو يرتجله الأدباء والخطباء ومن ملكوا زمام اللغة من أهلها.

الدرس الثاني عشر مظاهر التغير الدلالي

يتخذ التغير الدلالي عدة مظاهر منها :

أ – انتقال الدلالة :

هو أن يكون للكلمة معنى ثم تتحول دلالتها إلى معنى آخر مساوٍ له في الرتبة والمساحة أي أنه ليس أعلى منه قدرا ولا هو دونه ، ولا أعمَّ منه ولا أخصَّ، ولا هو أوسع منه ولا أضيق ؛ يقول فندريس << يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم أو الخصوص (كما في حال انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من المسبب إلى المسبب ، أو من العلامة الدالة إلى الشيئ المدلول عليه ....أو العكس ، وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى (الاستعارة، إطلاق البعض على الكل ، المجاز المرسل بوجه عام ..) >>.

ومن الأمثلة على الانتقال الدلالي لفظ المجد انتقلت دلالته من امتلاء بطن الدابة بالعلف إلى الجاه والسمعة الحسنة ؛ وهو ضرب من الامتلاء بالمحامد ، لفظ الشتاء حيث انتقلت دلالته في بعض جهات الوطن من الفصل المعروف إلى المطر ، لفظ التمر ينطق في بعض الجهات طمرا ؛ فتكون دلالة " الطمر" قد انتقلت من المعنى الأصلي المعروف وهو الردم والإخفاء إلى الفاكهة المعروفة ، فعل "قاس" في لهجة أهل العاصمة تحولت من معنى القياس المعروف إلى دلالة الاصطدام أو الملامسة ، أو لفظ " شباب" من مرحلة عمرية إلى دلالته على الحسن والجمال .

ب – اتساع الدلالة :

حيث يكون للكلمة مدلول ضيق ثم تأخذ مدلولا أوسع منه؛ وهو الأقل حضورا في اللغة، ومن أمثلة اتساع الدلالة لفظ الورد ؛ من دلالته على زهرة معينة إلى دلالته على جميع الأزهار ، لفظ قيصر؛ حيث اتسعت دلالته من دلالته على ملك الروم تحديدا إلى دلالته على كلِّ ملك أو سلطان ، لفظ البأس اتسعت دلالته من معنى الحرب إلى كلِّ مكروه من

مرض أو نحوه ، مكتب اتسعت دلالته من مكان الكتابة إلى مقرِّ الطبيب أو المحامي أو المدير ، وفي الفرنسية chaufeur معناه من يوقد النار في قاطرة القطار ثم انتقلت دلالته إلى معنى السائق ، ولفظ salaire معناه حصة من الملح تعطى راتبا للجندي ثم صارت تعني كلَّ راتب.

ج – تخصيص الدلالة :

هو أن تكون للكلمة دلالة واسعة ثم تضيق ، والأمثلة عليها في العربية كثيرة ؛ من ذلك ألفاظ الحقل الإسلامي كـ الصلاة التي كانت تعني مطلق الدعاء ثمَّ خصصت في الشعيرة المعروفة ، الإسلام كانت تعني كلَّ إسلام وصارت تعني الإسلام لله ، الكافر كانت تعني كل ساتر ، وصارت تعني من يستر نعمة الله ويجحدها ، الحج كانت تعني كلَّ قصد وصارت تعني القصد إلى بيت لأداء شعيرة الحج ، لفظ الأمن انتقلت من معناها المعجمي وهو الاطمئنان وعدم الخوف إلى دلالتها على رجال الشرطة أو من يقوم مقامهم ، لفظ " النعمة" من دلالته على كلِّ أمر محمود ملبسا أو مطعما أو مسكنا إلى دلالته على نوع مخصوص من الطعام هو الكسكس ، وكذلك الحال في لفظ " الطعام.

رابعا / انحطاط الدلالة : هو أن تكون للكلمة دلالة رفيعة ثم تؤول إلى دلالة دونها في سلم القيم أو في نظرة المجتمع كلفظ الحاجب الذي كان يدل على منصب سياسي رفيع ثمَّ صار يدل على الحارس ، أو لفظ السيدة مقصودا به مدح المرأة إلى إطلاقه إشارة إلى أنها متزوجة ....

د – رقي الدلالة :

هو انتقال دلالة الكلمة من معنى بسيط أو وضيع إلى معنى أرقى منه كانتقال دلالة لفظ السفرة من طعام المسافر وهو الحد الأدنى الذي يتبلَّغ به المسافر إلى دلالته على أجود أنواع الأطعمة، ودلالة لفظ السفير على الوظيفة الدبلماسية المعروفة بعد أن كان يدل على حامل الآجر.